بين الفيحاء والشهباء

المملكة الحموية

«حماة» كلمة عامية معناها الحصن المنيع والحمى . وحماة عاصمة مملكة لا يعرف اسمها تختلف باختلاف الدول والازمان وقد ذكر موسى اليهودي حماة الكبرى وذكر بعض الافرنج انه ربما كان انطيوخس الرابع ابيفان هو الذي سماها ابيفانيا وسماها مؤرخو العربية الاول كذلك . هذه رواية الافرنج وصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة بعينها قال ابو الفدا ان فامية ويقال لها افامية هي مدينة [1] قديمة ويطلق هذا الاسم على كورتها ايضاً وكانت فامية عاصمة قديمة في شبر من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (العاصي) وقال ياقوت ان فامية مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص وقد يقال لها افامية قال عيسى بن سعدان الحلبي يذكرها

يا دار علوة ما جيدي بمنعطف الى سواك ولا قلبي بمجتذب
ويا قرى الشام من ليلون لا بخلت على بلادكم هطالة السحب
ما مر برقك مجتازاً على بصري الا وذكرني الدارين من حلب
ليت العواصم من شرقي فامية اهدت الي نسيم البان والغرب
ما كان اطيب ايامي بقربهم حتى رمتني عوادي الدهر من كثب

وهذا دليل على ان فامية كانت من المدن المعروفة غير حماة يؤيد ذلك ان حماة معروفة بهذا الاسم في الجاهلية وكان لشاعر حري بان يذكرها بعظم الشمارف افتتح حماة ابو عبيدة سنة ١٧ وكانت معروفة في الجاهلية بهذا الاسم وذكرها امرؤ القيس في شعره بقوله

تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا
بسير يضج العود منه يمنه اخو الجهد لا يلوي على من تعذرا

قال ابن حوقل ان شيزر وحماة مدينتان صغيرتان رحبتان كثيرتا المياه والشجر والزروع والفواكه وقال ياقوت [2] ان حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار واسعة الرقعة حفلة الاسواق يحيط بها سور محكم وبظاهرها حاضر كبير جداً

---

(١) تقويم البلدان لابي الفدا (٢) معجم البلدان

وبها اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصانتها وارتفاعها وحفر خندقها نحو مئة ذراع واكثر الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب . ولم تكن فيما مثل ما كانت في القرن السادس من الهجرة بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص وسماها احمد بن الطيب قرية سنة ٢٧١ وذلك فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في سيره من بغداد

واستولى الاسماعيليون على حماة زمن الصليبيين واستولى عليها تنكرد احد ملوكهم سنة ١١٠٨ م ثم استعادها طغتكين التركي من الافرنج سنة ١١١٠ واصيبت بزلزال شديد سنة ٥٥٢ هـ وقد ذكر المؤرخون ان احد معلمي الكتاتيب خرج لحاجة وعاد وقد وقع السقف على رؤوس الاولاد كلهم فلم يحضر احد من اوليائهم يسأل عن ابنه الهالك وذلك لانهم هلكوا عن بكرة ابيهم . واستولى على حماة صلاح الدين يوسف ابن ايوب .

وان ما عرف من تاريخ هذه المدينة يشهد بان ايام صاحبها ابي الفدا اسماعيل كانت اسعد من غيرها وبها وبه اشتهرت ولا عجب فالبلاد قد تسعد برجل وتشقى برجل فكما سعدت دمشق بعهد نور الدين وصلاح الدين وسعدت بغداد بالرشيد والمأمون هكذا سعدت حماة بابي الفدا الملك المؤيد صاحب حماة والمعرة وبارين . ولم تر بعده وهو ملك من اهلها ومن أسرة صلاح الدين يوماً يشبه تلك الايام في السعادة وبقي الخراب يعتورها حتى وصلت الى ما وصلت اليه هذا العهد من الانحطاط . واحر بها ان يقال لها اليوم قرية كبيرة لا لقلة نفوسها فانهم خمسون الفاً ولا لصغر محلها وضعف زراعتها فانها ما زالت على حالها بل لقلة عمرانها وجهل سكانها الا قليلاً .

لم يقل ابو الفدا في جغرافيته الا انها : مدينة ازلية وقد ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي يدور على غالبها من شرقيها وشماليها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الارحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسقي اكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مخصوصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام .

وحدد ابن فضل الله (١) حماة من القبلة الرستن وما سامته آخذاً ما بين سلمية وقرية ملاعب الى حيث مجرى النهر والآثار القديمة ومن الشرق البر آخذاً على سلمية الى ما

---

(١) التعريف بالمصطلح الشريف

المستولي على قلعة [illegible] ومن الشام آخر حد [illegible] من الفرات (١) ومن الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة ليس لها الآن [illegible] الى حد ولاية [illegible] حمص [illegible] والمعرة .

وقال صاحب الروضة (٢) في القرن [illegible] ان [illegible] الشام كانت تقسم في عهد الدولة التركية الى [illegible] والمملكة [illegible] من الثانية حماة وبها سلطان ملك ونائب [illegible] وهي مدينة حسنة [illegible] كثيرة الخير والأرزاق يجري فيها النهر العاصي ويأتيها [illegible] من [illegible] ويجمع بين [illegible] قنطرة ومن عمرها [illegible] وتسمى [illegible] (٢) وهي [illegible] وفي [illegible] بناها [illegible] بن صالح وعلي ابن عبد الله بن عباس وقاتله كثيرة .

وذكر حماة غرس الدين الظاهري (٣) فقال [illegible] وقال انها متسعة تشتمل على مدن وقلاع وقرى واعمال مدنها حماة [illegible] وبها جوامع ومدارس ومساجد [illegible] ومزارات

ووصف ياقوت [illegible] حماة [illegible] فقال [illegible] وجبل يشرف عليها ويمر بها العاصي وبين كل واحد من حماة وحمص والمعرة [illegible] وبين [illegible] يوم [illegible] دمشق خمسة [illegible] وبينها وبين حلب اربعة ايام

وحماة اليوم [illegible] في الشمال من ولاية سورية ومن الجهة [illegible] وقسم من [illegible] المصرية وحمص واكثر [illegible] هذه [illegible] الا ما كان من اتجاه [illegible] فيه ما في الجبال من [illegible] وما كان على مقربة من العاصي [illegible] فيه [illegible] والحنطة والشعير والعصفر ([illegible]) والزروع والأنواع [illegible] والأشجار وما كان بعيداً عنه يكون [illegible] وخصوصاً في [illegible] التي يسمونها بالبور [illegible] من حسن التربة [illegible] من التسميد

---

(١) [illegible] (٢) [illegible] صغيرة ذات منعة قد دثرت ولها عين وبساتين وهي [illegible] مرحلة من حماة وهي [illegible] يسيرة الى الجنوب وبها [illegible] كتب التاريخ [illegible] هو حصن [illegible] في سنة [illegible] ثم [illegible] مدة ثم اخربوه .

(٣) زبدة كشف الممالك

الذي يأتون بثماره من القرى المجاورة بحيث يكون دخلهم منها يوازي دخل اهل حدائق دمشق وبعض قراها مثل كفرسوسة والقابون وجوبر .

وموقع مدينة حماة والعاصي يشطرها شطرين واسعين عن يمين وشمال من اجمل المناظر ولا سيما في فصل الربيع ، ومن اجمل النزهات عندهم الركوب في قارب وقطع جانب من العاصي فيرى المتنزه ضفاف العاصي محفوفة بالثمار اليانعة تعكس على المياه خضرتها ونضرتها وليس في حماة ما يستحق الذكر من انواع العمران الا بعض صناعات قديمة مثل حياكة الاقمشة الثياب والقمط والشالات والاعبئة والمرايل (الخ) وغير ذلك من الامور الطفيفة وليس فيها مدارس اهلية ولا خزائن كتب عامة ولا مطابع ولا صحف يومية اللهم الا مطبعة واحدة وبعض صحف اسبوعية وشهرية لا تناسب ما يجاور من مكانة حماة القديمة .

اما آثارها القديمة فاهمها دار اسعد باشا العظم احد ولاة سورية في القرن الثاني عشر وصاحب حماة بنى هذا القصر منذ نحو ١٧٠ سنة على اجمل طرز على مقربة من نهر العاصي وزينه بانواع النقوش والتصاوير ويظن ان صناعه كانوا من الفرس لان في نقوشهم كثيراً من النقوش العجمية وبعض الآيات الفارسية ومن ابدع ما رأيناه فيها قطعتان من الخشب جعلتا في حائط الغرفة الكبرى في الدار البرانية ونقشت عليها صورة حماة [1] في ذلك العهد بجوامعها ومدارسها ونواعيرها وقصورها والناظر اليها يتبين ان المرسوم هو حماة بعينها وانها كانت اذ ذاك اعمر مما هي عليه الآن والغالب ان الزلازل الاخيرة اخربتها الا قليلاً . والحقيقة ان قصر آل العظم في حماة حري بان يزار كقصره في

---

(١) كان فن الرسم كان مرغوباً في القرن السابع والثامن فقد ذكر ابو الفداء ان الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف كان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية (توفي سنة ٦٤٩) بنى للملك المظفر ابراجاً بحماة وطاحوناً على نهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة ورسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضي جمال الدين ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان الملك المظفر يحضر ويحثنا على رسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها . وجمال الدين هذا هو قاضي القضاة بحماة (٦٩٧) كان اماماً مبرزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة والاصول والهيئة والتاريخ وله عدة مصنفات منها الانبرورية في المنطق صنفها للانبرور (الامبراطور) ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه اليه رسولاً في ايام الملك الظاهر بيبرس الصالحي صاحب مصر والشام سنة ٦٥٩

دمشق وهندسة الأبنية عامة وفي حياة [illegible] الناس [illegible] وكذلك [illegible].

فإذا [illegible] سكان حماة [illegible] من [illegible] القرى وما [illegible] حماة [illegible] الأجداد الرسمي ولا سيما سكان جبال [illegible] من الضغط والشدة في الأرياف [illegible] في [illegible] ومنها من الأماكن المعروفة عند الإسماعيلية [illegible] في التاريخ.

[illegible] حماة:

- [illegible] إسماعيل [illegible] يا [illegible] وسيدهم، وكانت [illegible] مثال [illegible] بعدك [illegible].

[illegible] وكنت في الإسلام والعرب [illegible] ومعقد الألقاب [illegible].

[illegible] إسماعيل بن علي بن محمود ابن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب [illegible] في شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة [illegible] إلى مفاخرك وسؤددك وعهدك [illegible].

[illegible] كنت في [illegible] الناس حب الخير [illegible] الأجداد وما [illegible] ولا تعيد وقومك [illegible] لا [illegible].

[illegible] من [illegible] بل تخرجت في [illegible] حتى [illegible] العلماء سيرة [illegible].

[illegible] في [illegible] ولا سيما بعدك نشأة جاهلية [illegible] والحور [illegible] يتواصون [illegible] فلا [illegible] ولا [illegible].

اصبحت احكام بعض الملوك بعدك دولية واباطرة في الاكثر استبدادية . اتخذوا الاسلام ديناً وهو منهم براء وعبثوا بالرخص والرعايا ليس لهم وازع من القسم ولا رادع من ايمانهم . اصبحوا جبابرة لا ملوكاً وسلاطين لا ائمة وامراء لا يعرفون الا ما فيه راحتهم وترفيه انفسهم من الولائد والخدم والحشم .

كنت ايها الملك مثالاً للامير المتمسك بالعمل كنت شريفاً بماضيك وحاضرك وما انت الى يوم الناس هذا والى غد وما بعد غد شريف في عامة احوالك .

لم يعهد لك كما عهد للملوك قبلك وبعدك ان عددت الرعية كالسائمة في ملكك يتصرف مالكها بدرها ووبرها وصوفها ولحمها ويعمل مطلقاً في الاستمتاع بها لا ينازعه منازع . بل عهدناك تواسي الضعيف ولا تجور على الفقير وتحسن الى العلماء وتفضل على الفقهاء والادباء والشعراء وتصرف فضل اوقاتك في التأليف والتصنيف بأنك ثاني المأمون بعلمك وفضلك وثاني صلاح الدين بعدلك وجهادك .

اما اليقين ان قومك المعاصرين وسيرتك لو عملوا بسيرتك ولو ذكروك لساروا ولو قليلاً على سنتك المحمودة لعمل الملوك من بعدك بسيرتك الطاهرة كما كنت في عصرك خير مثل للملوك العادلين والعلماء العاملين

ايها الملك ان الملوك بعد عصرك جمعوا كثيراً واضاعوا كثيراً وكان ملكك بجانب ما ملكوا حجراً صغيراً جداً وما خلفوا الا ما تحمر وجوههم خجلاً منه ويأتون في الآخرة وقد شهدت عليهم لا لهم المظالم وانت سعدت بمن وليت عليهم وسعدوا بك فأبقيت ذكراً لا تمحوه الايام

انت علمت الخلق بان القليل مع العقل يستفاد منه اكثر من الجزيل بدونه وان وفرة المال والعقار لا تكون من السعادة في شيء اذا لم تسبقها نفس مهذبة بالآداب والفضيلة وعقل يحسن التصرف بما هنالك .

من لي بنظرة منك لترى ما حل بالعرب اليوم من التمزيق والتفريق والفساد في المعاش والمعاد والجهل المطبق وضعف العقول . ورثهم اخلاف من حكمت ملكهم وخضعوا للاستبداد وافترقوا تحت كل كوكب فرقاً لم يصدقوا وشمت بهم العدو وطامن الدهر وكل ذلك بما جناه سفهاء الاحلام من امرائهم وعلمائهم انهم كانوا ظالمين .

ثم وانظر فقد بدلت الارض غير الارض بعد عصرك . اخترع الافرنج في زماننا القطار والكهرباء ووفروا مرافق الحياة وقربوا الابعاد وحسنوا العيش اما قومك فليس

ثم من مدنية القرون الأخيرة لا الفقر ولا [illegible] على حوانيتهم فسادا في اخلاقهم بحيث لم يبق ثم من الأمجاد الا ان يعودوا الى حقيقة اخلاقهم وبلادهم وامجادهم أن ابدلوا الملك كالقرباء للفقر يشير أبو الفقر الشهوة لا أفلا تذكر ماضي شأنها .

قالوا ان نظام الحكومات بعد الملك الرقي ولكن كنتم في عصر الظل فيه القوانين الوضعية وكانوا كلما اخل بالقوانين السماوية في مصر الآن قوانين الوضعية ارتقت ولكن عند الدولة من الظل الورع والقوانين السماوية اعرضا عنها الا قليلا ثم يحسن عادة القضاء العادل ولا احتفظنا بآداب الاقدمين فكنا كالمغالي اراد ان يمشي كالجمل فنسي مشيته وما عاد الى ما كان من الاقتصار على الهوينا .

الا نعطه من طرائف الرشيدة التي اكرم بها الملك الآن الى الاغراض اقرب منها الى البقاء فكل يوم تعتصر رعاياها بلادها ويتخذها الخراب ويأخذها من اطرافها عوامل ابلغ الرقي من الامر فلا [illegible] تطمع الا بتقليدها في الرقصات والشرور لا سيما مقومات الحضارة واساليب النهوض .

وحكام هذه البلاد ان [illegible] انفقوا اموال الامة في شهواتهم على القصور والعربات والكواعب الغانيات [illegible] في العزف والغناء [illegible] انهم الا كانوا جهلة اغبياء فقد كانت المالك [illegible] في الطبيب الحكيم [illegible] ومعدات مساعدة لك على [illegible] الملك [illegible] وحكام [illegible] والعلم وقت في الرسوم [illegible] العدل على من وليت امرهم تمكنت الملك رياض الامة وبهجة العصر [illegible] عن الملك [illegible] ماذا يجازي ملكا صالحا عن رعيته وجاهلا [illegible] الناس [illegible]

المملكة الحمصية

وما يستغرب بعضهم [illegible] لفظ مملكة في حمص فقد كانت عظيمة في الجاهلية والاسلام . كانت الشام في [illegible] الروم [illegible] (1) اربعة اقسام قسم قصبته دمشق وقسم قصبته طبرية وتسمى الاردن وقسم قصبته حمص وقسم قصبته ايليا (القدس) وتسمى فلسطين وكان لهم في كل جند بطريق من البطارقة يحفظه [illegible] الخلافة الاول لما اراد فتح الشام [illegible] الى كل جند جيشا وامر عليها [illegible] الى حمص ابا عبيدة بن الجراح وسميت [illegible] الاعمال [illegible] اجنادا [illegible] بن [illegible] الى حمص ثم الاردن

---

(1) مجلة العصر

الى حمص ثم صار الشام في خلافة الرشيد مقسوماً الى ستة اجناد ثم قسم في الدولة التركية الى ثلاثة اقسام بحسب مدنه الكبار والاسم والبيت وانفصل عن الشام وسمي روماً .

وكانت اقاليم حمص[1] عبارة عن اقليم حماة واقليم شيزر واقليم فامية واقليم معرة النعمان واقليم صوران واقليم لطمين واقليم تل منس واقليم العلاس واقليم كفر طاب واقليم جوسية واقليم لبنان واقليم التمرة وخمسة اقاليم الثنية واقليم اليقاس واقليم البارة واقليم الرستن واقليم تدمر واقليم السطل واقليم سلمية واقليم عقربا واقليم الجليل واقليم السويداء ورقية وتدمر . وخراج حمص ثلثمائة الف واربعون الف دينار

وكان يحد عمل حمص في القرن الثامن من القبلة قرية القصب[2] المجاورة لقرية جوسية — وجوسية من كور حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق تمر بها السكة الحديدية بين بعلبك وحمص وهي بين جبل لبنان وجبل سنير[3] الى — آخذاً هذا الحد الى البلك الى القريتين ومن الشرق البادية الى الفرات ينتهي الى مدينة سلمية وما قسمه الطريق الى الحيش ومن الشمال ما بين سلمية الرستن ومن الغرب نهر الارنط وهو العاصي ومدينة هذه المملكة حمص وهي دار ملك البيت الاسدي ولم يزل لملكها في الدولة الاسلامية سطوة تخشى وبأس يحذر وبها القلعة الحجة والاسنمة لها رعايا جليلة وعسكر واشغال هذه المملكة من ولاية قارا وهي قبل حمص وولاية مدينة حمص نفسها وولاية سلمية وولاية تدمر وهي الى القريتين والرحبة .

هذه المدينة العظيمة التي كانت عاصمة ولاية الى القرون الوسطى ضعفت في القرون الحديثة حتى اصبحت اليوم قضاء من عمل حماة ولها تاريخ قبل الاسلام فقد ورد ذكرها في مصنفات بني الرومان باسم اميزا Hemisa Emese

ويذكر المحققون قبل عهده ان جملة سكانها الساميين Semites الذين قاتلوا الرومان ومن مشاهير حمص قبل الاسلام هليوغابالوس باسيانوس الكاهن الاعظم في معبد الشمس الذي اتى الى حمص الذي بويع امبراطوراً رومانياً سنة ٢١٧ واستولى الصليبيون على حمص سنة ١٠٩٨ م .

ولحمص وبعد حمص ذكر كثير في كتب الفتوح[4] منها ان اهلها صالحوا ابا عبيدة

---

(١) ابن خرداذبة (٢) ابن فضل الله العمري (٣) ياقوت الحموي (٤) فتوح البلدان للبلاذري

الى مائة الف وسبعين الف دينار وذلك لان [illegible] كتبوا مغلوبين ثم بعد ان قال لهم وقد كان يتولاهم من قبل الخليفة [illegible] ابو [illegible] الخارج في حمص [illegible] وثوره [illegible] [illegible] والاحتجاج [illegible] ربع كنيسة المسجد [illegible] الى من [illegible] وقسمت حمص [illegible] حتى [illegible] [illegible] بن الاسود الكندي في كل [illegible] [illegible] وكانت مدينة حمص مقرونة بالحصر ثم كانت ايام المستعين بن محمد بن ابي اسحاق المعتصم بالله ثاروا على عاملهم الفضل بن قارن الطبري [illegible] [illegible] ثم ابو [illegible] العصية فعادوا [illegible] وحاربوا الفضل بن قارن حتى قتلوه وانتهبوا ماله [illegible] فوجه المستعين [illegible] موسى بن بغا الكبير مولى امير المؤمنين المعتصم بالله [illegible] وفيهم [illegible] من [illegible] المدينة [illegible] فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم [illegible] حتى الحقهم بالمدينة ودخلها عنوة [illegible] سنة ٢٥٠ ، قال البلاذري (١) [illegible] من السواحل [illegible] اهله عنه [illegible] [illegible]

وارض طرق حمص [illegible] قال ابن حوقل ان جميع طرق حمص من اسواقها وسككها مفروشة بالحجارة [illegible] وذكر [illegible] (٢) من حسن ماء حمص انه لا يوجد بها [illegible] [illegible] في الارض [illegible] [illegible] الشرب وفي مدينتها [illegible] وقال بعضهم [illegible] حمص هي [illegible] [illegible] بالرصد الطلسم كل [illegible] من المرض وهو من [illegible]

[illegible] الجامع باهل حمص على ربع كنيسة المسجد وقد كانت كذلك الى القرن الرابع (٣) وهي بنصفها المسجد الجامع ونصفها للنصارى [illegible] ويحتمه من [illegible] الشام ، ولقد دخلها الروم في الاحيان [illegible] [illegible] سوادها [illegible] بعد وحول [illegible] [illegible] من الروم [illegible] [illegible] ان [illegible] [illegible] القرن الماضي .

سكان حمص واخلاقهم

الارمن [illegible] كان هذه البلاد [illegible] من ابي [illegible] [illegible]

---

(١) فتوح البلدان (٢) ابن حوقل (٣) [illegible]

معظم الاجناس التي حكمت هذه البلاد واهم عناصرها الحثيون والروم والعرب فقد « وقع في ديار كلب (١) من القرى تدمر وسلمية والعاصية وحمص وفي حمص عربية وسطها ثم الى العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب » وحمص كدمشق وما يليهما ديار غسان من آل جفنة وغيرهم .

اما الحثيون (٢) فهم جنوبيون وشماليون وكان الجنوبيون في جهات فلسطين والشماليون نزلوا اولاً جبل اللكام « امانوس » ثم انتشروا بكرور الايام من الفرات الى حماة وحمص ومن دمشق وبرية تدمر الى كدوكيا . ويظهر من الآثار المصرية انه لم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل عصبة منهم ملك

ولم يعرف شيء عن الحثيين الشماليين قبل ان يمر الرحالة بوركهارت الانكليزي في حماة سنة ١٨١٢ ويرى على جدار ازقتها خطوطاً قديمة بالخط المسند المصري اي الهيروغليفي تختلف عن الآثار المصرية ثم جاء بعده بعض رحالة من الاميركان والانكليز واخذ العلماء بالتنقيب عن امثال هذه الآثار فعثروا على كثير منها في حماة وحمص وحلب ومرعش وكركميش (ايرابوليس) وفي كبادوكيا وفي محال اخرى من آسيا الصغرى وقد علم من هيئة وجوه الحثيين الشماليين على ما رسموا في الآثار المصرية انهم اقرب الى الرتنو (كذا تسمي الآثار المصرية شعباً كان يسكن سورية الشمالية قبل الحثيين او في جانب منهم) الى سكان فلسطين ولون وجوههم ابيض ضارب الى الحمرة .

فكانت اول محل احتلوه اودية جبل اللكام ثم اخذوا يبسطون ولايتهم شيئاً فشيئاً نحو الشرق والجنوب حتى اتصلوا شرقاً الى الفرات فاستولوا على كركميش وعبروا الى وادي العاصي فاستولوا على حماة ثم على قادس في جانب حمص ثم غلبوا الآراميين في دمشق نفسها فحكموا فيها مدة وبسطوا سلطانهم في وقت غير معلوم الى الشمال والشمال الغربي حتى ضبطوا آسيا الصغرى

وقادس كانت في بر حمص (٣) وقد صورت على الآثار المصرية لان رعمسيس الثاني احد فراعنة مصر حاصرها ايام غزا فراعنة الدولة الثامنة عشرة سورية وبلاد اثور مرات ثم ضعفت مصر في آخر ايام هذه الدولة ونبذت سورية وفلسطين طاعتها

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني (٢) تاريخ سورية لمطران يوسف الدبس

(٣) في قدس قال ياقوت انها بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة واليه تضاف بحيرة قدس

وكان الحثيون في هذه الاثناء تغلبوا على [illegible] في شمالي سورية واليوم من عهد دارهم وضموا [illegible] مملكة واحدة [illegible] من شمالي الفرات الى جبل طوروس الى البحر المتوسط وتقدموا [illegible] الى دمشق [illegible]

[illegible] تحتمس الاول [illegible] سورية [illegible] لان خصومه فيها كانوا [illegible] شوكتهم وقد لاحظ [illegible] في التاريخ الشرقي ان الفراعنة لم يكونوا الى تلك الايام [illegible] سورية [illegible] كانوا يحسبونهم امراء [illegible] يغيرون عليهم وكانت [illegible] دون [illegible]

والظاهر من الآثار [illegible] ان الحثيين ارادوا [illegible] حتى [illegible] قرب [illegible] في مدينة قادس [illegible] الحرب الضروس [illegible] الى ان [illegible] المصريين [illegible] الحثيين في [illegible] فاضطر ان يوقع على معاهدة صلح مع [illegible] حتى [illegible] قادس [illegible] بعد حروب طويلة [illegible] الكبير [illegible] الحثيين وقد كتب الاثنان المصرية والحثية من [illegible] معاهدة صلح [illegible] صورة منقوشة على ظاهر جدار هيكل الكرنك [illegible] بين المصريين والحثيين [illegible] سنة وتزوج رعمسيس [illegible] الحثيين [illegible] دعائم الوفاق بين الشعبين

ويتخلص من [illegible] الاول [illegible] وكان نحو سنة ١٣٠٠ ق. م ان مملكة الحثيين في عهده [illegible] كبرى في شمالي سورية [illegible] حتى كانت البلاد تسمى [illegible] بلاد الحثيين وكانت [illegible] من [illegible] الى الفرات وكانت بلاد الآراميين خاضعة لسلطانهم [illegible] شمالاً الى [illegible] البحر الاسود تؤدي [illegible] قبائل كبادوكيا (في آسيا الصغرى) وكانت عاصمة الحثيين كركميش . وكانت كركميش [illegible] في محاربة الاشوريين للحثيين ما كانت قادس في محاربة المصريين لهم فكانت قادس حصناً منيعاً [illegible] طريق [illegible] الى وادي العاصي وكركميش شمالي الفرات [illegible] كانت محطة تجارية [illegible] بين مغرب آسيا ومشرقها .

وقد اكتشفت آثار مدينة كركميش سنة ١٨٧٦ [illegible] وبحثها الاثري [illegible] محرف [illegible] الى [illegible] القديمة وموقعها [illegible] الفرات في الشمال من [illegible] الآن [illegible] وفي الشرق من [illegible] في

حلب ومن حوزاتها المعروفة الآن باعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد كمكوها المعروفة الآن بالقبس فهي نحو الشرق من حلب واعزاز وعلى ضفة الفرات الغربية وعلى بعد ثلاث ساعات تحت الساجور وست ساعات من البيرة ·

عدد شلمناصر ملك اشور حملات ابيه على الحثيين بل قضى أكثر مدة ملكه يحاربهم ومن جاورهم · وكان من عادة الحثيين ان يرسموا خطوطهم بارزة لا محفورة فتعرف من اثرها على صفائح معدنية لنتوء الحروف في جهتها الاخرى هكذا كانت عهدتهم مع مصر مكتوبة على صفيحة من فضة وتقرأ هذه الحروف تارة من اليمين وتارة الى الشمال وتارة بالعكس فان كانت رؤوس الحيوانات المصورة بها متجهة الى اليمين فتقرأ منها وكذلك ان كانت الى الشمال وتقرأ احياناً من اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى · واما اللغة المكتوبة فيها هذه الخطوط فيرجح انها ليست من اللغات السامية فالاعلام المذكورة في الآثار المصرية والاشورية قل فيها ما يمكن رده الى اصل سامي

واشتهر الحثيون باعمال كما تشهد لهم آثارهم الباقية ولا سيما في حصون بوغازكوي وايوك في آسيا الصغرى واتقنوا فن تحصين الحصون واستخراج المعادن وصناعة تحويل الحديد فولاذاً وقد اخذ اليونان اشياء كثيرة في صناعتهم عن الحثيين · قال سايس في كتاب الحثيين ان مصدر سلاح اليونان هو الحثيون الذين افتتحوا آسيا الصغرى من اقدم العصور ويظهر ان صناع الحثيين اقتبسوا من صناعة مصر ونينوى وبابل اسلوباً خاصاً بهم واخترعوا صوراً منها النسر ذو الرأسين الذي صار بعد ذلك شعاراً للسلاطين السلجوقيين ولبعض ملوك اوربا اما ديانة الحثيين فيظهر انهم اقتبسوها عن بابل وبثوها في اوربة وآسيا الصغرى وتطرقت الى بلاد اليونان فان معبودات البلاد المذكورة واحدة وان اختلفت اسماً

نبذة في عمران حمص

ليس في الايدي مصادر يعتمد عليها لاصدار حكم مبسط على عمران حمص في القرون المختلفة وغاية ما يفهم من روايات مؤرخي العرب وجغرافييهم ان حمص في الاسلام كانت عامرة وان الزلازل اضرت كثيراً بعمرانها وان مدينة الرستن من الشمال وجوسية من الجنوب والقريتين ومهين وحوارين وتدمر من الشرق كانت من اعمالها قال ابو نخيلة يمدح بني العباس ويشير الى انهم دكوا آثار الامويين في الشام :

وامست الانبار داراً تعمر   وخربت من الشآم ادؤر

حمص [illegible] والمزة   ودمرت بعد الفناء تدمر

والمزة [illegible] بالشام [illegible] الأمويون وكذلك حمص وباب التين وتدمر وإذا [illegible] معظم [illegible] أسماء مدن كثيرة أكثرها داثر اليوم فمنها مدينة «المؤتفكة» كانت [illegible] آثارها حيث هدمت وسلمية اليوم بحمص نفسها من أعمال حماة ومنها «مريمين» وهي من قرى حمص بين الرستن وحماة معروفة إلى اليوم و«مرقية» قلعة حصينة في ساحل حمص كانت خربت فجددها معاوية ورتب فيها الجند وأقطعهم القطائع و«سلمية» [illegible] كورة [illegible] و[illegible] كفرطاب و«[illegible]» قرية [illegible] حمص [illegible] من قرى حمص ولعلها محرفة عن [illegible] و«[illegible]» واد بين حمص [illegible] الغاب؟

[illegible] البيداء حتى   تحيرت [illegible] والمشار

و«[illegible]» [illegible] لا تزال موجودة و«[illegible]» و[illegible] اسم كورة بحمص و[illegible] و«[illegible]» [illegible] حماة [illegible] كانت تعد في كورة حمص و«سلمية» كانت تعد من عمل حمص كذلك و«رفنية» كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رفنية تدمر و«الرستن» قرية مشهورة قال ياقوت: بليدة قديمة كانت على نهر الميماس وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قرب حماة والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق بها آثار باقية إلى الآن تدل على جلالتها وهي خراب ليس بها [illegible] وهي على تشرف على العاصي. و«دير ميماس» بين دمشق وحمص على نهر يقال له ميماس وإليه ينسب وهو في موضع [illegible] ولعله النهر الذي يقال له الميماس اليوم [illegible] حمص و«دير [illegible]» بين حمص [illegible] لا يعرف اليوم ولعله بعض الخرب التي لا يعرف الآن مكانها

و«دير [illegible]» [illegible] معروفة [illegible] على [illegible] من أعمال حمص [illegible] منها في طريق دمشق [illegible] و«[illegible]» [illegible] لقاصد دمشق وفيه عجائب منها [illegible] صور الأنبياء محفورة [illegible] مفروش بالرخام لا [illegible] عليه القدم وصورة [illegible] كانت [illegible] كانت عبد [illegible]» و«دوة» كانت من قرى حمص بها [illegible] من الصحابة [illegible] لا يعرفها أحد [illegible] قبور الصحابة والصالحين [illegible] إلى الآن [illegible] و«[illegible]» [illegible] حمص [illegible] فيه [illegible] تمتد من حمص [illegible] [illegible]

وعدوه من حمص الى قرب حماة فافسدوه و «دير المصلق» غير موجود وهو بين حمص وسلمية في احسن موضع وانزهه ويقربه ضيعة كبيرة يقال لها جدر التي ذكرها الاخطل فقال :

كأنني شارب يوم استبد بهم من قرقف ضمنتها حمص او جدر

ولاهل التطفل والشعراء فيه اشعار كثيرة .

و «حوط» قرية بحمص او محلة من ساحل الشام غير معروفة و «الحص» غير موجودة وهو موضع بنواحي حمص تنسب اليه الخمر قال ابو محجن الثقفي :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني أخاف اذا ما مت ان لا اذوقها
وتروى بخمر الحص لحدي فانني اسير لها من بعد ما قد اسوقها

وكانت «انطرطوس» اول اعمال حمص وهي من سواحل بحر الشام وكذلك «افامية» كورة من كور حمص على الساحل و «عذار» بلد بين حمص والساحل . وعن ابن الفقيه «معرة النعمان» و «تل منس» وما والاهما من اقليم حمص . و «الجبل» كورة بحمص و «بعرين» من قرى حمص و «بانياس» كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر . و «بكسرائيل» حصن من سواحل حمص مقابل جبلة

هذه هي حمص وبعض ما عثرنا عليه من اسماء قراها واعمالها اما اسماء قراها الاميرية فاليكها الآن وعددها ١٣٧ قرية نقلناها عن سجلات الحكومة :

ابو دالي . ابو حارتين عتيق . ام شرشوح . ام القصب . ابو حارتين جديدة . ابو همامة (الاصل ابو امامة ونسبه الى الصحابي المدفون بها) . كوه وعيان . ام العظام . آبل . اكراد دياسنه . اعور . ام دولاب . باعمرو . بلسه . باو . برج . بتيسه . بويضة شرقية . بوير . برج قعيه . العصري . تليسة . تلدو . تلذهب . تلرين . تيرمعله . تسنين . تلي مندو (تل النبي مندو قبلي حمص الى الغربي عند مصب العاصي في البحيرة) . تلدو (وقف جامع خالد بن الوليد) . تلبيل . جرنايا . جوبانية . جوسية (قبلي حمص خراب وعمارها تجار من سكة الحديد التي تخرج الى الشرق وهي البلدة الاصلية) . حديدة شرقية . حفر . حمام . حلاموز . حوارين . حدادة . حميدة . حابيك . حديدة العاصي . حوز . حسية . حميديه . حمية . خربة السودا . خربة حمام . خربة تين نور . خربة تين محمود . خربة الحاري . دخنة . دبين . دير بعلبه . ديرفور . دمينة شرقية . دوير .

دار الكبيرة · دليوزة · دميثة عربية · [illegible] · رام العنز · ربلة · ربلان · ربعة · رأس العين · [illegible] العاصي · [illegible] · زعفرانة · زيتة وبويضة عربية · زراعة · [illegible] · [illegible] · زيتة [illegible] · ثعالبيات عربية · ثعالبيات شرقية · [illegible] · سكرة · [illegible] · شنشار · شميس · صومرية · شيخ حميد · شرقلية · صبادية · صنون · صدد · صفر · [illegible] · عين النطا · عين حسين · عين الجوز · عامرية · عيبة · [illegible] · عيون [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · غرامير · عقر [illegible] · غور · [illegible] · قطينة · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] السيد [illegible] · اصيميري · [illegible] · كفرموس · كفرلاها · كفرعهدي · [illegible] · كام · [illegible] · [illegible] · مشيرفة · مسكنة · مهين · مودان · [illegible] · مرج القطا · مرج بولاد · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · يوت

وهذه القرى كانت للسلطان [illegible] عبد الحميد ثم دورت الى [illegible] وهذه اسماؤها فريتان · [illegible] · [illegible] · [illegible] · كراب · [illegible] · عرة · [illegible] · عبادية · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · والرحبة · حربة · عويزة · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · خرابة قبة · قبقة · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · تل الطويلة · سلمية · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · تل الاعر [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · سكري شمالي · سكري قبلي · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · ابو السرج شمالي · ابو السرج قبلي · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · [illegible] · رحوم · مزرعة [illegible] · [illegible] · [illegible]

[illegible] قرى حمص وحماة [illegible] مركز الحكومة [illegible] بادية [illegible] من القرى والمزارع و[illegible] [illegible] الحكومة مزارعها [illegible] من الاهلين [illegible] لان من اهلها [illegible]

جداً يتساوى في ذلك مسلموهم ومسيحيوهم فالزراعة بيد المسلمين والتجارة بيد المسيحيين وكثير من الحمصيين هاجروا الى مصر واميركا فاغتنوا وتأثلوا حتى ان اهل حمص سموا لهم مدينة باسمهم في الولايات المتحدة على نحو ما سمى اجدادهم مدينة باسمهم يوم فتحوا بلاد الأندلس .

قال ياقوت ان في حمص مدارس وقال ابن جبير ان بها مدرسة واحدة وليس بها مارستان على رسم مدن هذه الجهات مثل حماة وغيرها اما اليوم فليس بهـا مدارس دينية مهمة فيما علمت سوى بعض مدارس العلوم الدنيوية مثل مدارس الروم والكاثوليك والبروتستانت وبعض مدارس حديثة اهلية انشئت للمسلمين وبها مدرسة رشدية اميرية وبها مطبعتان تطبع فيهما جريدة حمص وجريدة جادة الرشاد وغيرهما . وثلث اهل حمص غير مسلمين والباقون مسلمون وكان اهلها كما قال ياقوت « من اشد الناس على علي بن ابي طالب فلما انقضت تلك الحروب صاروا من غلاة الشيعة حتى ان في اهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية واصلهم الامامية » اما ما قاله كثير من المؤرخين والمرائيين في ان البله يكثر في اهل حمص منذ القديم فهو مشهور عن عامتها لا عن خاصتها فقد اشتهروا بذلك فصار يتناقل عنهم القرن بعد القرن وما خلا قرن فيها من خاصة فضلاء عقلاء ودليل عقلهم اليوم انهم كانوا بعد الدستور اسبق البلدان السورية الى ورود حياض المدنية وقد انتعشت بلدهم بمد السكة الحديدية العريضة الممتدة منها الى طرابلس وكانت البضائع تصدر منها وترد على الجمال والبغال والمركبات والعواجل وسيزيد عمرانها يوم يمتد منها خط حديدي ضيق الى تدمر يجيئها السياح بالالوف وتحمل اشعة المدنية والامن الى تلك الربوع في الداخلية وتعيد الى تدمر واربابها عهد زنوبيا

يوم في بحيرة قدس

من يزر حاضرة من الحواضر ولا يشهد ربوعها وضواحيها تظل معلوماته عنها قليلة ويظل مقصراً في بحثه وما كان المجتهد كالمقلد . واي شأن في شؤون الدين والدنيا . دعاني صديقي وصفي افندي الاتاسي الى قريته قرمشير فركبت واياه عربة حتى وصلناها في ساعة وهي في جوار بحيرة قدس فجمعنا بين ثلاثة امور لذة الرياضة في الخلاء والاطلاع على نموذج من قرى حمص وزيارة تلك البحيرة التي كان لها ذكر في تاريخ سورية القديم كما نسميه اليوم باسم خزان أسوان في مصر والشبه بين خزان حمص بدا في جنبات وادي العاصي وخزان أسوان في جنبات وادي النيل .

وطول هذه البحيرة الصناعية [illegible] على [illegible] ، وقد [illegible] الامس [illegible] [illegible] [illegible] العاصي [illegible] من [illegible] [illegible] على [illegible] الشرقي [illegible] .

وقد وصف جغرافيو العرب هذه البحيرة [illegible] حمص وهي [illegible] محفورة ببناء [illegible] محكم وفيها [illegible] كثيرة [illegible] عكا مثل [illegible] ولا [illegible] بعد ذلك الى ان [illegible] ارض [illegible] في [illegible] . وذكر ياقوت ان طولها اثنا عشر ميلاً في عرض اربعة اميال وهي بين حمص وجبل لبنان تنصب اليها مياه تلك الجبال ثم تخرج منها فتصير نهراً عظيماً .

وقال ابو الفداء ان طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثلث مرحلة وعرضها طول السد وهي مصنوعة على نهر الارنط [illegible] في طرف البحيرة الشمالي سد مبني من عمارة الاوائل وينسب الى الاسكندر وفي وسط السد المذكور برجان [illegible] من الحجر الاسود وطول السد شرقاً وغرباً الف [illegible] وثمانون ذراعاً وعرضه ثماني عشرة ذراعاً [illegible] [illegible] السد [illegible] نهراً وهي في ارض مستوية وهي عن حمص [illegible] يوم في غربيها [illegible] ا هـ .

[illegible] هذه البحيرة او السد [illegible] في بلاد الشام من الانهر والعيون والينابيع التي تذهب مياهها هدراً ولا ينتفع بها في السقيا وقد كان [illegible] العرب [illegible] من هذا [illegible] من [illegible] هذه البلاد [illegible] كان [illegible] من الادوات التي احدثتها مدنية الغرب [illegible] (الميكانيك) والهندسة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كانت ارقى من عقولنا [illegible]

في سورية انهار كثيرة [illegible] ولا [illegible] ينتفع بها من سكان [illegible] [illegible] مياه نهر الفرات والعاصي [illegible] والاردن والليطاني والاولي [illegible] مياه [illegible] بردى والاعوج مثلاً لاخصبت كثير من الاراضي التي تحرم من الماء [illegible] وكان في الامكان ان [illegible] ونغرس فيها انواع الاشجار .

لا تشكو سورية في عمرانها قلة الايدي العاملة ولا النفوس الذكية ولا [illegible] وسعة الرياح والاصقاع ووفرة الامواه وجودة الاهوية بل انها تشكو من قلة من يفكر

في الانتفاع من ثروتها الطبيعية ولو كانت هذه الحكومة تفكر في عمران بلادها على الاقل على مستوى ما تفكر روسيا مثلاً من دول الارض لاصبحت سورية في بضع سنين من اعمر الاقطار شبه المانيا وانكلترا وفرنسا ان لم تفقها لاعتدال الفصول الاربعة فيها . ولكن جرت الاقدار بان يتراجع عمراننا حتى اصبحنا بعد ان كانت سورية اهراء العالم في الحبوب ونحن نجلب الدقيق من روسيا وآسيا الصغرى واميركا وفرنسا والحكومة لاهية لاهية لا يهمها الا قبض الضرائب والعشور ولو اوشكت البلاد ان تبور وفي المثل الفرنسوي ان الاراضي تغل على نسبة اقتدار من يقوم عليها Tant vaut l'homme tant vaut la terre ولا عبرة في ثروة الا بما يستخرج من كنوز الارض لا بما كان مذخوراً في عالم القوة .

المملكة الطرابلسية

كانت طرابلس الشام ايضاً مملكة ايام حكومة الاقطاعات كما كانت صفد والكرك وحماة وغيرها من مدن سورية وكانت مدينة طرابلس او اطرابلس [illegible] الف سنة في اوائل رواية اعظم مدن هذه المملكة بل كانت طرابلس في القرن الرابع كما قال المقدسي اجل من صيدا وبيروت وذكر الظاهري ان طرابلس مدينة حسنة بها جوامع ومدارس واسواق وحمامات وعمائر حسنة وهي على شاطئ البحر المحيط يقال انها شامية مصرية الحسن هيئتها وكانت في عهده تشتمل على عدة مدن واقاليم وقلاع وقرى ومن جملة اعمالها قلعة صهيون في جبال الكلبية وقلعة المرقب وحصن الاكراد وقلعة قدموس واللاذقية وجبلة والكهف والرصافة وما والاها من القرى وتشتمل هذه المملكة الطرابلسية ونواحيها قبل على قريب من ثلاثة آلاف قرية

وسمى شيخ الربوة مملكة طرابلس بمملكة الساحل وكرسيها طرابلس المستجدة بعد فتح طرابلس الشام بجيش المسلمين في مملكة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي قال : وبنيت هذه المستجدة في سفح ذيل من اذيال جبل لبنان بكورة من اكوار طرابلس بعدها عن طرابلس القديمة البحرية نحو من خمسة اميال على شاطئ نهر يجري الى البحر (١) وهي سهلية جبلية بحرية برية يطل الماء في جوانبها ولها قنطرة على واد بين جبلين يمر عليها الماء من منبعه اليها في ارتفاع نحو سبعين ذراعاً وطول هذه القنطرة نحو من مائتي ذراع والنهر يجري من تحتها الى سقي الاراضي ويصب في البحر الرومي

---

(١) يقال له اليوم نهر ابو علي وكان يعرف قديماً نهر قاديشا اي المقدس

ولا يكاد يوجد فيها بيت ليس فيه بركة تجري إليها المياه وفيها نهر ينبعث من جبل لبنان . وقد جمعت في بساتين طرابلس من النباتات ما لا يوجد في سائر الأقاليم أصلاً قصب السكر والموز والحمضيات الكثيرة الزائدة [illegible] الذي لا يوجد مثله والثلج ومياه البحر الغزيرة والطير الكثير ومحاسنها لم يجمع في غيرها ومن قلاعها ومعاقلها الساحلية [illegible] وهو حصن من فتوح الملك المنصور وله عمل متسع وعرقة مدينة ساحلية محكمة البناء وانطرطوس مدينة ساحلية

وعد من أعمال طرابلس حصن [illegible] وحصن [illegible] وهما عمل متسع ، وولايات وصافيتا ومن الأعمال [illegible] (؟) والحصن [illegible] في عصره ومدينة مرقية (مرقب ؟) وحومة عكار إلى كورة عكار ومدينة بشري والكورة والحدث بأذيال لبنان وهذه الأعمال يطرد مددها إلى ألف قرية . وحصن عكار (١) حصن منيع من بناء الإسلام ويصب إليه ماء من سيل [illegible] ، [illegible] إلى القرية وحصن الأكراد حصن منيع مشرف على الشام والسواحل ينظر الناظر منه إلى الشام وقرى [illegible] وبعلبك وإلى البحر والساحل .

قال ومن أعمال طرابلس المتقدم ذكرها الدعوة وهي التي ملكها راشد الدين محمد نائب علاء الدين علي صاحب الألموت في العجم وهو صاحب الدعوة الإسماعيلية والحصون هذه هي حصون الخوابي وحصن الكهف وحصن القدموس وحصن العليقة وحصن [illegible] ([illegible] ؟) وحصن الرصافة بأذيال طرابلس من جهة الشام وحصن أبي قبيس وهو مصياف وهو أم هذه الثغور أي أطراف الدعوة وأرسل الرجال الفداوية إلى البلاد والأقاليم في قتل الملوك والأكابر وحصن [illegible] حصن منيع جداً وله أحد عشر باباً لكل باب بوابة وحصن المرقب ثغر منيع على رأس شاهق مطل على البحر كبير مثلث الشكل بناه الرشيد على [illegible] قديم ثم جاء النصارى ثم ملكه المسلمون في عصره وعمروه . وحصن صهيون حصن منيع [illegible] يقال إنه من بناء أغسطس ملك رومية الكبرى الذي [illegible] وليس هو [illegible] صاحب التاريخ اليوناني وهذا الحصن صعب المرتقى [illegible] جبل وعليه [illegible] في الساحل [illegible] طرف داخل من الأرض كالجزيرة من البحر

وذكر أن اللاذقية مدينة على البحر من بناء [illegible] وهي [illegible] الأسكندرية في بنائها

---

(١) جبل عكار هو [illegible] القديم

وبارضها معدن رخام ابيض وأخضر موشى وبها دير الفاروس من أعجب البناء في الدير وله يوم في السنة تجتمع النصارى اليه والمينا الذي باللاذقية من أعجب الموانى في البحر واوسعها لايزال حاملاً للسفن الكبار وعليه سلسلة من حديد حاصرة لمراكبه مانعة من مراكب العدو وفرضة بلاطنس مدينة جبلة بن الايهم الغساني حدثت باسمه في صدر الاسلام وكانت مدينة عادية بناها الصابئة وفيها آثار مقر الملك الذي كانوا اصطلحوا عليه في زمن نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام وكان له سرب يركب الراكب فيه تحت الارض الى ظهر السفينة بالبحر ويركب في السفينة الى وسطه تحت الارض محجوباً .

وعد من عمل طرابلس مدينة بانياس فقال انها مدينة عبرانية يونانية رومية وبها انهار سائحة لرية الشجر و بساتين كثيرة من اعجب بساتين الساحل وذلك ان حيطان البساتين متصلة بضرب موج البحر بغير حائل وبين بانياس وجبلة جزيرة صغيرة عند نهر غزير يسمى النهر الابتر وسمي بذلك لقصر جريته وقلة الاندفاع فلا يتشعب منه شعب ولا يتفرع فروع مع غزارته وقوته وعلى الجزيرة دمن حصن يقال له بلدة كان من احسن الحصون بناء وخربه اهله بايديهم دون غيرهم ودخلوا البحر من غيظهم بعضهم على بعض وهذه الجزيرة من اعجب الجزائر شأناً بالماء وذلك ان البحر محيط بنصفها واكثر والنهر محيط بالنصف الذي الى البر والآن مختلطان فالنصف ملح اجاج والنصف عذب فرات وهما في النظر ماء واحد محيط به من سائرها ، ومن اعمال طرابلس ايضاً البقيعة هي الحصن والناعم وجبال الصميرية نحو عشرين عملاً بين صهيون واللاذقية والى البترون والعاقورة

هذا وصف مملكة طرابلس وعملها في القرون الوسطى وحدها ابن فضل الله فقال من القبلة جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مرج الاسل - حيث يمتد نهر العاصي ومن الشرق نهر العاصي ومن الشمال قلاع الدعوة ومن الغرب البحر وبلاد طرابلس لها قلاع وولايات فذكر من قلاعها حصن عكار وحصن الاكراد وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس وبلاطنس وصهيون ثم قلاع الدعوة وهي العليقة والمنيقة والكهف والمرقب والقدموس والخوابي والرصافة ومصياف وهي دار ملك هذه القلاع الاسماعيلية ولحاملي ألقابها الرتب العلية واعمالها التي هي انطرسوس واللاذقية وجبة المنيطرة وبلاد الضنين (الضنية) ومنها بشريه وجبة وانفة وجبيل وما لكل في ذلك عمالة وولاية

وبعض هذه البلاد اليوم تابعة للواء اللاذقية من اعمال ولاية بيروت والآخر من

لواء حماة من عمل ولاية سورية وغيره من عمل متصرفية جبل لبنان وبعضه من عمل طرابلس كحصن الاكراد وعكار وصافيتا ونواحي الضنية وحدود والقبية وطرطوس وارواد وطرابلس هي احد الوية ولاية بيروت وهي اللاذقية وعكا ونابلس .

وبدء اول عمل لواء طرابلس من السفح الجنوبي من لبنان ومن السفح الشمالي من جبال النصيرية فهو بين منفسحي هذين الجبلين وتكثر انهاره واعظمها النهر الكبير في عكار ويسميه القدماء نهر الوتروس Eleutherus ومن ضفته الشمالية تبتدئ البقيعة وهي سهل فسيح المدى يماثل البقاع في لبنان الشرقي

سميت طرابلس بهذا الاسم اي البلاد الثلاثة (تريبوليس Tripoli) لان مهاجري ثلاث مدن فينيقية وهي صور وصيدا وارواد بنوها وكان كل حي من احياء هؤلاء المهاجرين ينفصل عن الآخر بسور على ان اسم المدينة الفينيقي غير معروف على وجه الصحة وهذه التسمية اقرب الى الرومية ولعل طرابلس لم تؤسس الا قبل المسيح بسبعمائة سنة بعد تأسيس ارواد وقد جاء بعد انشائها من العصور بين الصيدونيين والارواديين دولة السلوقيين الرومية فاشتركوها في جملة ما ملكوه من بلاد الشام ثم الرومان فزينوها وانشأوا فيها ابنية فخمة التي نابها كثيرا الزلازل المريعة التي اصابتها في عصور مختلفة ولما جاء الصليبيون الى طرابلس كان حاكمها ابن عمار من الحكام المستقلين بها فبدأ الكونت ريموند سان جيل من ملوك الصليبيين بحصارها سنة ١١٠٤ م وذلك بانشائه حصنا سماه الافرنج مون بلغرينوس Mons Pellegrinus وسماه المسلمون سان جيل او صان جيل ولم تؤخذ المدينة الا بعد خمس سنين وذلك باحراقها ومن جملة ما ذهب في حريقها طعاما للنار مكتبة عربية مهمة كان فيها في بعض الروايات مئة الف مجلد وفي رواية اخرى اكثر من ذلك بكثير ودام حكم الصليبيين في طرابلس ١٨٠ سنة ارتقت في خلالها كما يقول مؤرخوهم على الرغم مما كان يتخلل تلك المدة من المصائب والحروب الاهلية واستعادها منهم سنة ١٢٨٩ السلطان قلاوون الصالحي سابع ملوك المماليك البحرية في مصر والشام وبناها في الداخل بعيدة عن الساحل كما مر آنفاً

ودخلت طرابلس في الحكم العثماني على عهد السلطان سليم يوم فتح الشام وظلت مدة تعلو وتسفل بحكم الانقلابات شأن سائر المقاطعات والولايات وكانت مدة مركز ايالة ثم الحقت بولاية سورية يوم تأسيس الولايات وكان حظها ان تتبع بيروت يوم سلخت هذه عن دمشق واصبحت ولاية برأسها

تحتوي طرابلس من السكان على نحو الاربعين الف نسمة وفي اعمالها زهاء ١٥٠ الفاً ومساحة قضائها ١٠٩١ كيلومتراً مربعاً ومساحة قضاء عكار ٢٨٥ وقضاء الحصن ٥١٣ وقضاء صافيتا ٤١٤ كيلومتراً والعنصر الغالب فيها المسلمون ثم يجيء اهل الاديان الاخرى ويقال ان اصل سكان طرابلس من جالية العجم ولذلك غلبت عليهم طباع اشبه بطباع الفرس من حيث الابهة والتأنق

كان المأمول ان ترقى مدينة طرابلس الشام لاتصالها بخط حديدي عريض مع بلاد الداخلية طوله من طرابلس الى حمص ١٠٥ كيلومترات ولكننا رأيناها هذه المرة على تلك الصورة التي رأيناها عليها منذ نحو عشر سنين لم تكد تخطو خطوة تستحق ان تذكر ولولا شيء من الموبقات الجهرية التي زادت فيها بدخول الاجانب وانتشار الحرية وكان بعضها موجوداً من قبل على صورة مستترة لقلنا ان طرابلس هي هي منذ بضع سنين

ومن الغريب ان بعضهم لاحظ بان نفوس سكانها لم تزد زيادة تذكر في العهد الاخير مع ان اهلها لم ينزحوا اكثر من سائر مدن سورية وقراها في حب الهجرة · ولولا قليل من الصحف انشئت فيها عقيب الدستور لكان يصح ان يقال ان الحركة العلمية لم تزل بحالها ايضاً · وقد اثر هذه السنة ما شوهد من النقص في حاصلات البلاد الداخلية لرداءة المواسم فخف اصدار الغلات من طرابلس وكانت عجلاتها التي تنقل الحبوب اليها في السنين الغابرة من جهات عكار والحصن وصافيتا وحمص وحماة وسلمية اكثر حركة منها اليوم بسكتها الحديدية الجديدة ولكن هذه السنة لا تقاس عليها سائر السنين ما دمنا موقنين بان الارتقاء بطيء الحصول كالانحطاط ولا بد من قضاء دور الحضانة في الحضارة والسكك الحديدية اذا مدت في الاصقاع العامرة اعمرتها فما بالك بقطر خصب البقاع والرباع جيد التربة ذكي الماء والهواء واسع المادة تجود فيه اكثر الغلات والثمرات ·

الامل ان طرابلس ستكون بعد بيروت اهم موانئ سورية بعد سنين اذا تعاضد اهلوها على ما فيه المصلحة تعاضدهم يوم نالوا امتياز سكة حديد طرابلس — حمص وتركوا الاشتغال بعضهم ببعض كما هو من شأن البلدان التي لا عمل لاهلها ينهضون به فلا يجدون تسلية لهم سوى الاغتياب والنميمة واكل لحوم بعضهم بعضاً وتسفيه آرائهم فيكون عاقبة ذلك التخاذل والتفاشل وذريعة الانحطاط المهين ·

[illegible] في طرابلس [illegible] من [illegible] [illegible] أكثر من [illegible] المسلمين [illegible] [illegible] إلا قليلاً [illegible] [illegible] أكثر من [illegible] ولا سيما [illegible] في الوطن [illegible] الأمم الراقية.

[illegible] كل ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] طرابلس [illegible] [illegible]

[illegible] في طرابلس [illegible] [illegible]

[illegible] طرابلس [illegible] [illegible] ولكن أوروبا لا تستطيع [illegible] [illegible] [illegible] هذه الشجرة المباركة.

خاتمة

هذا ما شاهدناه ولاحظناه في الرحلة [illegible] [illegible] الرجوع إلى [illegible] [illegible] الأحوال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]